دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

تصدر شهرياً عن دار الطليعة - بيروت - ص.ب ١١١٨١٣ / ١١٨٣٣١

ARAB STUDIES

A MONTHLY, CULTURAL, ECONOMIC & SOCIAL REVIEW

P.O.B. **111813** – Beirut-Lebanon

Yearly Subscription U.S. **75** Dollars

Europe: **40** Sterling

المدير المسؤول: جوزيف صفير - مدير الادارة: محمّد سعيد حمدية

الادارة: شارع المصيطبة - محلّة يزبك - بناية البستان - تلفون ٣١٤٦٥٩ / ٣٠٩٤٧٠

بيروت / لبنان - تلكس LE INTCO 20376 - 42168

الاشتراكات: (بما فيها أجور البريد الجوي) للدوائر والمؤسسات الرسمية: ٧٥ دولاراً

سورية: ٨٥٠ ل.س - العراق: ٢٠ ديناراً - أميركا: ٧٥ دولاراً

فرنسا: ٣٠٠ فرنكاً - ألمانيا الغربية: ١٥٠ ماركاً - المملكة المتحدة وسائر أقطار أوروبا: ٤٠ جنيهاً استرلينياً

تُدفع قيمة الاشتراك مُقدّماً بموجب شيكٍ أو حوالة مصرفية

دراسات عربية

مجلة فكرية اقتصادية اجتماعية

في هذا العدد

□كلمةُ العدد ٢

□غاستون باشلار (١) ..... جورج كانغيلم
تعريب: د. خليل أحمد خليل ٣

□مسألة تمويل التنمية الاقتصادية ..... د. طلال البابا ١٤

□المناخ ومصادر المياه في الشرق الأوسط ..... د. صلاح الدين أبو صالح ٣٥

□عود إلى الزمان التاريخي ..... د. سالم يفوت ٥٣

□توقعات مستقبلية
لمتغيّرات النظام العالمي الجديد ..... ابراهيم محمود ٦٨

□الاعتزال بوصفه بديلاً شعوبيّاً ..... عبد المجيد بوقُربة ٧٨

□الاستشراق والفكر الغربي
في المشرق العربي ..... د. مصطفى نجيب فواز ٩٨

□حوار مع د. أحمد أبو سعد ..... هدى غانم حسن ١٠٦

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٨٧٤٥
التاريخ ٢٠١٤/٧/٢٦

السنة الثامنة والعشرون ـ العدد ٣/ ٤ ـ كانون الثاني/شباط ـ يناير/فبراير

28 th- N° 3/4 January/February

الاستشراق والفكر الغربي في المشرق العربي

الدكتور مصطفى نجيب فوّاز(*)

إذا كانت السياسة هي فن حكم البشر ، أو بعبارة أخرى تربية أهوائهم وأنانياتهم ومصالحهم بالنظر إلى غايات نظام عام يكاد أن يخرج دائماً على نطاق الحياة الفردية لأنها غايات تمتد إلى المستقبل . إذا كانت تلك هي السياسة فلاريب في ان الانسان هو العنصر الجوهري لهذا الفن ؛ ومن هنا يجب الانطلاق ، إذن الانسان وما يمثل من فكر وطاقة ، هو المحور الرئيسي في أي بحث . والإنتاج الإنساني هو الذي يضعنا في دائرة التعرف عليه والعمل والتعاطي معه . وهنا يحضرني قول مكيافللي : « ليست المحافظة على الدول بالكلام »(١) ؛ واستطرد لأقول ليست المحافظة على التراث الفكري الانساني بالكلام .

فالحضارة الإسلامية العربية التي بلغت القمة بازدهارها وقيمتها الفكرية والعلمية لم تترك ناحية إلا وطرقتها أو فن من فنون الفكر والعلم إلّا وتناولتها(٢) . حيث كان من الطبيعي أن يأخذ العرب من علوم الحضارات التي امتدت إليهم عبر فتوحاتهم ، ما يتعلق بحاجتهم وما يتصل بحياتهم(٣) فكيفوا ما اقتبسوه من هذه الحضارات وفقاً لما تفرضه تقاليدهم وتعاليمهم وما لا يتعارض مع عاداتهم وتقاليدهم حيث بلغت معارف العرب قمة المجد في العهد العباسي كما يقول في هذا المجال المستشرق الانكليزي « هل » في كتابه الحضارة العربية : « أما ان المسلمين قد أسسوا مدارس للتعليم العام في بلاد العرب وفي البلاد المفتوحة فهذا شيء ثابت ، لا تستطيع الحضارات القديمة الأولى أن تباهي بشيء من مثله » ، كيف لا وقد دعا القرآن الكريم إلى طلب العلم وحضَّ الرسول المسلمين على العلم .

ونشأت المدارس والمراكز العلمية في البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان والرها

(*) كلية الآداب ـ الفرع الأول ـ بيروت ـ قسم التاريخ ـ .

(١) نيقولو مكيافللي : الأمير ؛ ترجمة فاروق سعد، منشورات دار الآفاق الجديدة ؛ بيروت ، الطبعة السابعة ١٩٧٥ ، ص ٥ ـ ٧ .

(٢) حسن ابراهيم حسن ؛ تاريخ الاسلام السياسي ، بيروت الطبعة السابعة ١٩٦٤ ، ج ١ ؛ ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ ١٦٦ وما يليها .

(٣) ادوارد سعيد ؛ الاستشراق مؤسسة الأبحاث العربية ، ترجمة كمال أبو ديب ١٩٨١ ، الطبعة الأولى ، بيروت ص ٣٥ .

ونصيبين وحرّان وجنديسابور حيث درس النحو والفقه واللغة والرياضة والطب والفلك . ويقول المؤرخ الهندي « خودا بخش » في كتابه الحضارة الاسلامية : « إن العرب كانوا قادة العلوم وكان لحكامهم وخلفائهم قلوب كبيرة وعقول متحررة ، فقد كان اهتمامهم بالعلوم المسيحية يجعلهم على نقيض من القياصرة البيزنطيين المتعصبين ضيقي الأفق حيث كانت مكتباتهم تحوي كتباً نقلت عن القبطية واليونانية والسريانية في الكيمياء والجغرافية ، كما ذكر ان أحد الحكام العرب « خالد بن يزيد » المسمَّى حكيم آل مروان كلف جماعة من اليونانيين من مدرسة الاسكندرية لينقلوا له الكتب التي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية كما طلب منهم أن يترجموا كتب « جالينوس » في الطب .

وإن كان « ابن خلدون » يرفض هذه المقولة باعتقاده انه لا يمكن أن تكون الترجمة في علم الكيمياء قد بدأت هكذا مع مطلع القرن الثاني للهجرة ، فالجانب المشرق من التاريخ الاسلامي يزهو به التاريخ العباسي إذ يمثل نضج الحضارة العربية الإسلامية ، وبلوغها درجات الاكتمال في ذلك العصر .

ففي العصر العباسي اكتسبت العلوم الاسلامية صفة الأصالة والابتكار ، واتسعت دائرة هذه العلوم لتشمل مختلف العلوم التجريبية فضلاً عن الدراسات اللغوية والفلسفة والتاريخ وارتقى الفن العربي الاسلامي بحيث أصبح آية خالدة في تاريخ الفنون ، واتسع نطاق التجارة(٤) بحيث جاب تجار المسلمين مشارق الأرض ومغاربها ووصلت بضائع العالم الإسلامي ومصنوعاته وحاصلاته إلى أقصى شمال غرب أوروبا وأصبحت الدولة الإسلامية ، واسطة التجارة بين الشرق والغرب عبر طريق البحر الأحمر وطريق الشرق فبغداد فأنطاكية على البحر المتوسط وطريق الشمال عن طريق بلاد الروس فبحر قزوين ثم مرو فبلخ فسمرقند ومنها إلى الصين ورابعها الطريق البري عبر شمال أفريقيا فمصر والعراق وفارس ومنها إلى الهند والصين . وبدراسة هذه الطرق نجد انها تمر كلها بأراضي الدولة الإسلامية(٥) . كذلك استخدم المسلمون الحوالات أو الشيكات وعرفت أوروبا عنهم استخدام الحوالات المصرفية أو الشيكات أما عن المدن الإسلامية في تلك العصور وخاصة بغداد فكانت راقية ومزدهرة بما فيها من شوارع ومنازل ومساجد وحمامات وبيمارستانات وكليات طب وغيرها ومنتزهات وأسواق وخانات وصناعات وعلماء وطلاب علم وشعراء الخ .... ومن خلال ذلك ندرك حقيقة ما أصابته الدولة الإسلامية عندئذ من تقدم حضاري(٦) .

وترتب على ذلك ظهور طبقة السمار والندماء وخاصة السميريات وهن القيان البارعات الفاتنات في فنون الغناء والرقص .

إن رغبتي وهدفي يتضحان من إبراز الفكر الإسلامي والعربي لأبيّن أن العلاقات بين

---

(٤) Maurice Grouzet; Histoire générale des civilisations pages 259-260; P.U.F; Paris 1967.

(٥) Bergé Marc; Les Arabes; Histoire et civilisation des Arabes et du monde Musulman; Pages 177-178-80; Editions Lidis; Paris 1978.

(٦) Maurice Grouzet; Les XVI^{e} et XVII^{e} siècles Histoire générale des civilisations; P.U.F.; Paris 1967; Pages 487-491-493.

الشرق والغرب لا تقتصر فقط على مجالات عسكرية وسياسية[٧] بل هذه الجوانب كانت نتيجة وليست سبباً . فأساس الموضوع في هذه العلاقات قائم على الفكر والنتاج الإنسانيين والثروات الطبيعية أو بالأحرى الإنسان والأرض وما يمثلان من العلاقات الإنتاجية والحضارية ....

وفي هذه الحالات قد تختلف الآراء حول العلاقات بين الشرق والغرب وتاريخها وأعني هنا بداية الاستشراق وليس التغريب ، فمنهم من يقول بأن موضوع الاستشراق هو موضوع قديم أو كما يقال يعود إلى زمن قديم بدأ منذ آلاف السنين يوم أخذ اليونان والرومان يتوافدون نحو الشرق بغية غزوه والسيطرة عليه واحتلال ما استطاعوا من مدنه وثغوره ولعل الاسكندرية هي التي تعتبر من أهم المنائر التي جرى فيها الاتصال الفكري بين الشرق والغرب في تلك الحقبة البعيدة من الزمن . ولكن مرحلياً إذا كان هذا الرأي يرى في موضوع الاستشراق كوحدة موضوعية في تسميتها وجوهرها ومؤسساتها وجغرافيتها فهناك التباس تأريخي ، عندما نقول اليوم بالعلاقات بين الشرق والغرب نعني بهذا الغرب الأخير الغرب الحديث (أوروبا غربية أم شرقية ...) .

أما إذا ذكرنا الغرب في التاريخ القديم فإنما نقصد بلاد الإغريق واليونان . وبالتالي فإن مسألة الإستشراق هي موضوع آخر بمدلوله السياسي الحديث . كما يحدد البعض بأن التمازج الفكري والبشري الذي نتج عن الاتصال الحضاري والسياسي والديني بعد ظهور الإسلام ووصوله إلى بلاد الأندلس كان بعد موقعة « وادي لكه » حيث نزل « طارق بن زياد » إلى الشاطىء الاسباني في رجب ٧٢ هـ ـ ٧٢٨ م ، وهذا التاريخ يعتبره البعض بداية الاستشراق وفي رأيي ان نهاية تقدم الغرب في العمق الأوروبي ووقوف اندفاع « عبد الرحمان الغافقي »[٨] بعد معركته الشهيرة مع « شارل مارتل » في موقعة بلاط الشهداء بين تور وبوانييه على بعد حوالي ٢٤٠ كلم عن باريس سنة ١١٤ هـ ـ ٧٣٢ م ، هو تاريخ انهيار الشرق الإسلامي أمام الغرب وبداية الدراسة الميدانية للتراث الإسلامي وللثروات المادية والبشرية في مشرقنا وغربنا الإسلامي ؛ ومن هنا نستطيع أن نحدد التأريخ الاستشراقي . مع الإشارة بأن الاختلاط والتلاقح والتمازج الفكري حصل بعد احتلال الغرب لصقلية وجنوبي إيطاليا والأندلس ، حيث لعبت غرناطة وإشبيلية والقيروان دوراً مهماً فيه[٩] . واستمر ذلك لمدة خمسة قرون ، ثم جاءت الحروب الصليبية متسترة بثوب الدين كما يشير إلى ذلك الزميل د . ميشال جحا[١٠] فكانت على العكس من الفتح العربي للأندلس ، إذ أدت إلى انتقال الغربيين إلى المشرق قلباً وقالباً بين القرن الحادي

---

(٧) أحمد مختار العبادي ؛ في التاريخ العباسي والأندلسي ـ دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ ، ص ٢٩١ ـ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ .

(٨) ابراهيم بيضون ؛ الدولة العربية في اسبانيا ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ٦٨ ـ ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٩) أحمد مختار العبادي ؛ في التاريخ العباسي والأندلسي ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤ ـ ٢٩٥ .

(١٠) محمد مختار باشا ومحمد عمارة ؛ كتاب التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية ، ج١ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٢٧ .

عشر والثالث عشر الميلادي حيث أسهم في تمازج بشري وفكري مباشر . وهذا الانتقال أو الاحتكاك المباشر هو الاستشراق الفعلي الذي ترك آثاراً سياسية وحضارية هامة .

ثم كانت المفاجأة الكبرى للغرب الاستعماري بسقوط القسطنطينية البيـزنطية في أيدي المسلمين العثمانيين سنة ١٤٥٣ م مما جعل أوروبا تهتز من جديد بعد أن استفاقت على أيدي « شارل مارتل » وشارلمان وانشودة « رولان » «Roland» الاسطوريـة فعملوا على برمجة وتنسيق وتوثيق دراسة الشرق بفرق عمل متكاملة دينية وفكرية ثقافية وأدبية وسياسية واقتصادية وعسكرية . وهنا ظهرت المؤسسات الاستشراقية بفروعها وأهدافها المختلفة ، الواضحة المعالم . مما أدى إلى زيادة الاهتمام بمعرفة الفكر الديني الإسلامي ودراسته .

وقد عجل ذلك من سرعة ظهور معالم النهضـة الفكريـة الغربية في أوروبا في أواخر القرن الخامس عشر . فزاد الاهتمام بدراسة قضايا الشرق الفكـرية واللغـوية والـدينية والحضارية ومنابعه التراثية والإلهامية . هـذا الإهتمام أوصلهم إلى العـودة إلى اللغات السامية القديمة لا سيما الاهتمام في اللغة العبرية لغة التوراة والسريانية والقيام بالأعمال التبشيرية .

ثم يأتي دور العلاقات الاقتصادية والسياسية بين الشرق والغـرب والتي أدت إلى استعمار القسم الأكبر من أقطار العرب والمسلمين من قبل الدولتين بريطانيا وفرنسا .

وفي أواخر القرن الثامن عشر تاريخ مشروع نابليـون في الشرق ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ والذي حمل معه العديد من المستشرقين الفـرنسيين واليهود ، علمـاء وأدباء ومفكـرين وسياسيين واقتصاديين حيث أنشأ أول مطبعة عربية ، الحروف ساعدته على تحقيق بعض أهدافه في بلاد العرب إلى جانب خصمه البريطاني « أوليفر كروميل » الذي أبدى اهتماماً كبيراً بشؤون اليهود ، وقدم لهم التسهيلات مع البوروتيانيين الانكليز حركة تهـدف إلى مساعدة اليهود على الاستيطان في فلسطين عام ١٦٤٩ م بقولها : « إن الأمة الانكليزية مع سكان الأراضي المنخفضة سيكونون أول الناس وأكثرهم استعداداً لنقل أبناء إسرائيل وبناتها إلى الأراضي الموعودة لأجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب كي تصبح إرثاً دائماً لهم »[١١] . وبالرغم من أن هذه الحركة ودعوتها لتوطين اليهود في فلسطين لم يتمخض عنها أية نتيجة عملية إلا انها كانت مؤشراً للقوى الحاكمة في بريطانيا وغيرها كي تولي فلسطين مزيداً من اهتمامها وتدرس بجدية مدى الفائدة المجنية من وراء توطين اليهود فيها سواء كان ذلك في المجالات الاقتصادية أم السياسية[١٢] .

وبالفعل فإن فلسطين ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر وبشكل أوضح في القرن التاسع عشر شهدت نشاطاً مكثفاً واكب التوسع الغربي الاستشراقي قامت به مجموعات من التجار وعلماء الآثار والمبشرين والرحالة والمغامرين ترتب عليه نتائج كبيرة وخطيرة ما زلنا نعاني من آثارها حتى يومنا هذا والحقيقة أن فرنسا كانت أول من طرح وبشكل جدي فكرة

---

(١١) عالم المعرفة ؛ الخضارة ؛ كانون الثاني ١٩٧٨ ، العدد الأول ، حسين مؤنس ، ص ٨١ ـ ١٢١ .
(١٢) عالم المعرفة ؛ أدب الرحلات ؛ حسين فهيم ، العدد رقم ١٣٨ ؛ ص ٨٥ ـ ٩٣ ؛ حزيران ١٩٨٩ .

توطين اليهود في كومنولث يهودي في فلسطين ، فقد أعدت حكومة الإدارة الفرنسية عام ١٧٩٨ خطة سرية لاقامة كومنولث يهودي في فلسطين في حال نجاح الحملة الفرنسية في احتلال مصر والمشرق العربي ، بما فيه فلسطين وذلك مقابل تقديم الممولين اليهود قروضاً مالية للحكومة الفرنسية التي كانت تمر آنذاك في ضائقة اقتصادية خانقة والمساهمة في تمويل الحملة الفرنسية المتجهة صوب الشرق بقيادة نابليون بونابرت وأن يتعهد اليهود ببث الفوضى وإشعال الفتن ، وإحلال الأزمات في المناطق التي سيرتادها الجيش الفرنسي لتسهيل أمر احتلالها . ودعا أحد زعماء اليهود الفرنسيين إلى تكوين مجلس يضم جميع الطوائف والفئات اليهودية ويتخذ من باريس مقراً له ليعمل بالتنسيق مع حكومة الإدارة الفرنسية من أجل « إعادة بناء وطن يجمع شمل اليهود وينظم حياتهم » .

ومضى هذا الزعيم اليهودي في دعوته التي تضمنها منشوراً أصدره غفلاً من التوقيع قائلاً فيه(١٣) : « ان عددنا يبلغ ستة ملايين في أقطار العالم وفي حوزتنا ثروات طائلة فيجب أن نتذرع بكل ما لدينا من وسائل لإنشاء وطن لنا وهذا الوطن الذي ننوي قبوله بالاتفاق مع فرنسا يشتمل على مصر السفلى ويمتد شرقاً بخط يبدأ من عكا إلى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر إلى البحر الأحمر وموقع هذا الوطن من أنفع المواقع الاستراتيجية في العالم ويمكننا من السيطرة على ملاحة البحر الأحمر قابضين على ناحية تجارة الهند وبلاد العرب وافريقيا الجنوبية والشمالية وأثيوبية ، ثم إن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا ، وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من إقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وإيطاليا واسبانيا »(١٤) .

ويبدو أن نابليون بونابرت كان مطلعاً على الإتصالات الجارية بين زعماء يهود فرنسا وحكومة الإدارة الفرنسية واتضح له مدى الخدمات التي كان بمقدور اليهود تقديمها له . ولذا فإنه أصدر وبمجرد وصوله إلى فرنسا عام ١٧٩٨ بياناً حث فيه جميع يهود آسيا وأفريقيا على الالتفاف حول رايته من أجل إعادة مجدهم الغابر وإعادة بناء مملكة القدس القديمة .

ويعزو المؤرخ الفرنسي « بارون » أسباب اصدار نابليون هذا النداء إلى رغبته في استقطاب الجاليات اليهودية في الشرق لتحارب معه ، والجاليات اليهودية في الغرب لدعمه مادياً ، لا سيما أن أنشودة « رولان » وذكريات المؤرخين الأوروبيين الذين يعلقون على فتوحات الغافقي في قلب فرنسا تؤرقهم وتخيلاتهم فيما لو انتصر العرب في معركة تور لحدث في أوروبا مثل ما حدث في اسبانيا ولصار القرآن يتلى ويدرس في جامعات باريس وكمبردج واكسفورد، وقد سخر من هذا القول أديب فرنسي مصنف من كتاب القرن التاسع

---

(١٣) عالم المعرفة ؛ مشاريع الاستيطان اليهودية منذ قيام الثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ؛ العدد رقم ٧٤ ؛ ص ٧ ـ ١٤ ـ ١٦ . شباط ١٩٨٤ .

انظر أيضاً :

ـ أبو عسل ايلي ليفي ؛ يقظة العالم اليهودي ، القاهرة ١٩٣٤ .

ـ أمين بديعة ؛ المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية ، بيروت ١٩٧٤ .

(١٤) ادوار سعيد ؛ المرجع السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٧ ـ ٦٨ .

عشر وهو « جوستاف لوبون » في كتابه ـ حضارة العرب ـ إذ قال « إنه ينبغي أن ننظر إلى العرب في ذلك الوقت نظرة تختلف عن نظرتنا لهم في الوقت الحاضر كشعب متخلف نسبياً عن الشعوب الأوروبية . لأن الوضع في العصور الوسطى كان على العكس تماماً ؛ العرب هم المتحضرون والأوروبيون هم المتخلفون ، ولا أدل على ذلك من أننا نسمي تاريخ أوروبا في ذلك الوقت بالعصور المظلمة . ثم يضيف بأنه كان يتمنى لو أن العرب استولوا على فرنسا ، اذن لصارت باريس مركزاً للحضارة والعلم مثل قرطبة في اسبانيا ، حيث كان رجل الشارع فيها يكتب ويقرأ بل ويتقرض الشعر أحياناً . في الوقت الذي كان فيه ملوك أوروبا لا يعرفون كتابة أسمائهم ويبصمون بأختامهم » .

ثم جاء دور الارساليات الأجنبية مع مطلع القرن السابع عشر ، حين اتسع انتشارها وعددها في العديد من البلاد العربية والاسلامية لا سيما في لبنان وسورية وفلسطين ومصر ، كما تعددت جنسياتها من فرنسية وبريطانية وايطالية وروسية والمانية ونمساوية ، وكان لها الأثر الكبير في وجودها سلباً وإيجاباً فأنشأت المدارس والمطابع والجامعات والمعاهد العلمية والدينية والأديرة والمستشفيات والمستوصفات وما زال الكثير منها ومن آثارها ومؤسساتها حتى يومنا هذا كالجامعة الأميركية بكل مؤسساتها وفروعها العلمية والسياسية والإدارية كذلك الجامعة اليسوعية ومؤسساتها وتفرعاتها أيضاً . وفي فترة ما بعد الاستعمار التي أعقبت الحرب العالمية الثانية تطورت العلاقات الثقافية والتجارية والسياسية بين العالم العربي وبلدان أوروبا وبلغت ذروتها لدى اكتشاف البترول في بلاد العرب والدور الذي لعبته وتلعبه هذه السلطة الطامعة في الحركة الاقتصادية والحالة السياسية ونتائجها الاجتماعية والخدماتية والسياحية وحتى الثقافية والتعليمية والخطط الخمسية والعشرية والسداسية . وما كان لبلدان العالم الأوروبي وخاصة بريطانيا ثم فرنسا ثم العالم الأمريكي والسوفياتي من أدوار مهمة في قيام وتدعيم الثورات والحركات ورسم دول المنطقة ، ليس هذا ما يدعو الى الغرابة بمعاهدة فرساي ١٩١٩ وقبله مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٨ أعاد رسم الخريطة السياسية للعالم الحديث والمعاصر.

وهكذا نجد أن غرب الأندلس والمغرب والمشرق العربي والاسلامي والصليبيين والبيزنطيين كانوا واسطة لنقل علوم الشرق إلى الغرب في العصر الذهبي الاسلامي ، وانعكس الدور حيث إن بضاعتنا ردت إلينا في عصر الانحطاط والتشرذم العربي والاسلامي في بلاد الغرب . وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض الرومنسيين[١٥] الذين تناولوا الاستشراق من منطق أدبي أو فكري أو ثقافي[١٦] دون البحث في العمق الاستشراقي السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي الهادف إلى زعزعة الثقة والمعرفة بتراثنا ، كيف لا ونحن نجد علماء السياسة في الغرب يبنون سياستهم على التوسع ويتطلعون إلى قوة الدولة باتساع أرضها وما تحمله من ثروة طبيعية وبشرية تصب نتائجها وفوائدها في خزائن الدول والأمم الأوروبية شرقية كانت أم غربية أو أميركية وإن كانت

---

(١٥) نجيب عقيقي ؛ المستشرقون ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية ١٩٤٧ ، ص ١٢٠ وما يليها .
(١٦) مجلة الفكر العربي ؛ الاستشراق ، العدد ٣١ ـ ٣٢ .

بنسب وأساليب متفاوتة . هؤلاء العلماء الذين اشتغلوا بالجيوبولتيكا اتبعوا سياسة القوة والسيطرة أمثال « فريدريك راتز » والقائل بأن مساحة الدولة هو مقياس لقوتها ، وكذلك « الفرد ماهان » صاحب نظرية الموقع البحري وكذلك البريطاني « ماك كيندر » صاحب نظرية « قلب العالم » والكثيرين من أمثالهم . حيث يضيق المجال في ذكر أسمائهم ونظرياتهم ومشاريعهم الاستعمارية .

أما العرب الرومنسيون والكلاسيكيون فإنهم يتناولون الاستشراق بشكل فكري مستقل[١٧] أو يصورون من اشتغل من المستشرقين الغربيين بتراثنا بأنهم أصحاب فعل وأخلاق عالية وسمو رفيع ترفعوا عن الأهداف اللاانسانية ونسوا أو تناسوا خزائن « الكي دورسيه » في باريس ومراكز التوثيق ، الأرشيف وغرف التجارة ومراكز الأبحاث الداخلية والماوراء البحار سواء كان في فرنسا أو بريطانيا أو ألمانيا أو روسيا وحديثاً الولايات المتحدة الأميركية وكذلك ايطاليا .

ومن الذين اهتموا بالدراسات العربية باختصار في بريطانيا « وليم بادويل » ، « ادموند كاستل » ، « ادوارد بوكول » ، « سيمون أوكلي » « جورج سيل » ، « تشارلز ولكنز » ، « جوهان لويس » ، « بوركهارت » ، « ادوارد وليم لاين » « ادوار هنري بالمر » ، « رتشالد بورتن » ،« روبرنسون سميث » « وليم مور » ، « تشارلز مور واطسن » ، « الليدي بلنط » ، « تشارلز ليال » « تشارلز داوني » ، « تومان ارنولد » ، « ستانلي لاين بول » ، « جاي لي سترانج » « لورانس » ، « مرجوليوث » ، « رينولد الن نكلس » ، « أوليري ».

وهناك العديد منهم في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

أما أهم الجامعات البريطانية التي لحظت كراسي الدراسات العربية فهي :

اكسفورد ـ كمبردج ـ ادنبره ـ دورهايم ـ لندن ـ مانشيستر .

عدا المراكز الثقافية والجمعيات والمكتبات والمنشورات والمجلات ودور النشر العربية في بريطانيا.

أما الدراسة العربية الاستشراقية في ايطاليا فإنها احتلت حيزاً مهماً في خزائنها ومعاهدها وجامعاتها وعلمائها ومفكريها ، اذكر بعض المستشرقين الايطاليين : « الأب لودوفيكو ماراتشي » ـ « أوجينو غريفين » ...

أما الجامعات والمعاهد الايطالية التي تعنى بتدريس اللغة العربية والحضارة الاسلامية : جامعة روما ـ نابولي ـ ميلانو ـ فينيسيا ـ بالاضافة الى المراكز الثقافية والمكتبات العربية والاسلامية في ايطاليا[١٨] .

كذلك احتل الاستشراق والدراسات أهمية كبرى في اسبانيا حيث اشتهر العديد من علمائها وكتاب المستشرقين ، منهم :

« غينغوس » ، « كالدرون » ، « أي غونزالت » ، « فرنسيسكو سيمونات » ، «ويناتو»، «الأركون»، «بلاسيوس»، «بلانسيا»، «أورساني»، «باريت» وغيرهم العديد.

---

(١٧) ميشال جحا ؛ الدراسات العربية والاسلامية في أوروبا ، معهد الانماء العربي الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، ص ٥ - ٦ ـ ٧ ـ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ .

(١٨) علي الشامي ؛ عن ندوة قدمها في مؤتمر التربية الاسلامية ، آذار ١٩٨١ ؛ بيروت .

أما الجامعات الاسبانية التي اهتمت بالاستشراق فهي :

مدريد ؛ برشلونة ؛ غرناطة ؛ سرقسطة ؛ اشبيلية ؛ بالاضافة إلى المراكز الثقافية والمعاهد التي تعنى بالحضارة العربية والإسلامية والمكتبات والمحفوظات العربية في اسبانيا.

كذلك اهتم الألمان بالاستشراق والدراسات والأبحاث العربية والاسلامية ونذكر بعض المستشرقين الألمان : «رايسكة» ؛ « فرايتاج » ؛ « فلوجل » ؛ « ايفالد » ؛ « فايل » ؛ « هونرباخ » ؛ « بيرش ».

أما الجامعات الألمانية فهي كثيرة وتكاد تكون جميعها من جامعة :

برلين ؛ فرانكفورت ؛ مونستر ؛ كيل ؛ ميونخ ؛ هايدلبرغ ؛ الخ ... بالاضافة للمراكز الثقافية ودور النشر التي تعنى بنشر كتب الاستشراق والمكتبات العامة والترجمات والدراسات القرآنية ني المانيا.

أما الاستشراق الفرنسي فهو منتشر في جميع الجامعات الفرنسية حيث إنك تجد في معظم جامعاتها أقساماً للدراسات الاسلامية وكذلك مراكز الأبحاث والتوثيق ودور النشر المهتمة بالاستشراق ومنها: جامعات باريس ـ ليون ـ اكس بروڤنس ـ بوردو ـ ليل ـ وغيرها...

وأخيراً إذا وضعنا جانباً النواحي السياسية والاقتصادية لعلاقة الغرب بالعالم الاسلامي وهي نواح تشكلت عبر مراحل تاريخية متفاوتة في الزمن والأنماط إلا أنها آلت في معظمها إلى إحكام سيطرة الغرب على الشرق الإسلامي ، وجدنا الجوانب الثقافية ـ الاجتماعية لهذه العلاقات تكشف عن طبيعة الصراع الخاص والذي يتجاوز البعدين العقائدي والحضاري لمواجهة الاسلام والغرب تجسدت فيه ظواهر التعامل والتمازج والتفاعل بين الثقافات ، تبرز أهميتها في تقبل البعض ورفض البعض الآخر لهذه الثقافات والعلاقات.

هذه النتائج اصطدمت بمقاومة المجتمع الاسلامي ، المتسلح بتراثين كاملين ثقافي وحضاري ، وبنظام من القيم والعادات والتقاليد . ورفضت منطق الغلبة الثقافية الغربية المتعارضة مع تعاليمها وقيمها ، موضحة بذلك الغاية الأساسية للتعامل الحضاري الغربي القائم على ثلاث ركائز :

الأولى : تهميش الثقافات والحضارات الأخرى والعمل على تشويهها[١٩] .

الثانية : هي الهيمنة والمركزية التي تعتبر أوروبا مركزاً أساسياً للنمو وللانتشارين الثقافي والحضاري .

الثالثة : ظهور جوانب ايجابية عديدة سواء على الصعيد العلمي أو الحضاري أعطت دفعاً كبيراً في مجالات الوعي الفكري والاستفادة من التقدم العلمي والتكنولوجي علّه يفيد شرقنا العزيز في معاودة ركب الحضارة الانسانية وأخذ الجوانب الايجابية منها ، حيث إن التمازج الحضاري هو نتاج انساني طبيعي للعلاقات بين الشعوب ، كون الحضارة هي ملك ونتاج الانسانية جمعاء ، من هنا علينا الانفتاح عليها ونهل ما يستطيع الفرد أو المؤسسات توظيفه في خدمة شعبه ووطنه .

---

(١٩) عالم المعرفة ؛ قضايا التبعية الاعلامية والثقافية في العالم الثالث ، ص ٣٤ ـ ٤٣ .